المستقبل الثقافي للغرب الإسلامي*

عبد العزيز برغوث**

مدخل عام

كتاب "**المستقبل الثقافي للغرب الإسلامي**" لمؤلفه الدكتور **عبد المجيد النجار**، يثير مسألة مركزية في الوعي الإسلامي المعاصر. ذلك ليس لأنه يتحدث عن جزء جغرافي وحضاري مهم من أجزاء الأمة الإسلامية الوسطية، ولكن لأنه بالدرجة الأولى يرسم لنا صورة أخاذة عن تجربة الأصالة والوجهة والصيرورة التي سلكها هذا المد الإسلامي في سياق انخراطه واندماجه في الحركة الحضارية للأمة الوسط. فأهمية الكتاب تكمن في بحث جدلية الانتماء والتفاعل والصيرورة في تاريخ هذا العمق الحضاري للأمة وتجربتها الثقافية الرائدة. فالمشكلة التي يعرضها الكتاب علينا هي مشكلة تجربة الظهور الحضاري للغرب الإسلامي في تاريخ الأمة وصيرورة هذا الظهور وفائدته، ثم البحث في مستقبليته ومآليته في ظل الصيرورة العامة للأمة ووجهتها الحديثة.

والمؤلف لا يترك منذ الوهلة الأولى إشكالية بحثه عائمة بدون ضبط، ولكنه يحدد لنا ذلك عندما نراه يفضل التركيز على المسألة الثقافية، باعتبارها مدخله الرئيس في معالجة تجربة الغرب الإسلامي ومستقبلها. فيقول في مقدمته:" إن الوجود الثقافي المغربي ظل وجودا ملتزما بوحدة الثقافة الإسلامية رغم التحديات الشديدة التي تعرض لها بسبب موقعه، بل إن ذلك الالتزام بوحدة الثقافة الإسلامية كان التزام إثراء وتدعيم متميزين

* د. عبد المجيد النجار، **المستقبل الثقافي للغرب الإسلامي**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٧).

** ماجستير من كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية (الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا)، محاضر بقسم أصول الدين بالجامعة نفسها.

أصبح بهما المغرب ملتحما بهذه الوحدة الثقافية التحاما خط له في المستقبل قدرا يجعل نهوضه الحضاري موقوفا عليها، غير ميسور إلا في نطاقها، كما كان تحضره وتبليغه الحضاري في الماضي منبثقين منها، وقائمين عليها، فكيف كانت المسيرة التاريخية للانخراط المغربي في وحدة الثقافة الإسلامية؟ وكيف سيكون شهوده الحضاري معقودا في المستقبل بهذا الانخراط؟"(ص: ٧-٨).

ولكي يجيب المؤلف عن تساؤلاته قسم بحثه إلى ثلاثة فصول. عالج في الأول منها مفهوم الثقافة الإسلامية وعناصرها ووحدتها. وحلل في الثاني كيف استطاع الغرب الإسلامي الالتزام والوفاء بوحدة الثقافة الإسلامية وما أثمره هذا الالتزام من حركة إثراء واقعية لتجربة الأمة ومسيرتها الحضارية. ثم ناقش في الفصل الثالث مصير الغرب الإسلامي ومستقبله المرهون بالتزامه بوحدة الثقافة الإسلامية.

عرض عام لأفكار الكتاب

في الفصل الأول، حاول المؤلف تحديد مفهوم للثقافة بصورة عامة. فنجده بعد إيراد بعض التعاريف القليلة يخلص إلى أن الثقافة تشتمل على حلقات ثلاث هي: المبادئ العقدية وأسلوب الحياة والمنتجات الأدبية والمادية. ويرى أن أسلوب الحياة ينبغي أن يعطى الاهتمام الأوفر لأنه يشكل مركز التحولات الثقافية العميقة في التجارب الحضارية عموما. فيقول:" والحقيقة أن المعنى الأصلي لها إنما هو الحلقة الوسطى، أي أسلوب تحقيق الحياة، وهذا الإطلاق هو الذي سنعتمده في البحث اعتمادا يلحظ رابطة السببية في تأتي أسلوب الحياة من المبادئ العقدية، وفي تأديته المنتوج الأدبي والمادي من الآداب والفنون وضروب العمران"(ص:١١).

ويحسن المؤلف عندما يرجع المسألة الثقافية إلى شقيها الأساسيين أسلوب الحياة وطريقة السلوك. مما يجعل المسألة الثقافية كما قال مالك بن نبي مسألة منهجية في الأساس. إذ بهذا المعنى المنهجي تصبح الثقافة حيوية ووظيفية تسهم في تشكيل الجو والإطار الذي يتيح للإنسان والمجتمع معا تحقيق تكاملهما وتحضرهما. وبتبنيه لهذا المفهوم المنهجي للثقافة يقول إن الثقافة الإسلامية هي:" ذلك المنهج في تحقيق الحياة تفكيرا وسلوكا متأتيا من مبادئ العقيدة الإسلامية"(ص:١١). وبهذا المعنى تصبح العقيدة أو الرؤية الكونية التوحيدية هي المرتكز في التحول الثقافي المنشود وهي الحافظ

للأمة من التمرد والانحراف عن وحدتها الثقافية التوحيدية. فالمؤلف يرى أن الأساس التوحيدي والبنية الشمولية والنزعة الواقعية والمكنة النقدية للثقافة الإسلامية هي التي مهدت الطريق للانخراط الحضاري للغرب الإسلامي وإسهامه في إثرائها وتقويتها والذود عنها في لحظات الخطر الداهم. ويقدم لنا المؤلف أمثلة كثيرة في مجالات العلوم المختلفة ليدلل على هذا الإسهام والانتماء.

وفي إطار هذا التحديد يرجع المؤلف السبب المركزي لضعف الأمة وتشتتها إلى المنهج الذي ينتهجه المسلمون في الفكر والسلوك. فيقول: " فهذا المنهج قد تشتت عناصره الآنفة البيان فإذا المرجعية العليا تختلف بين التيارات، وإذا بأحادية النظر تستبد ببعض المسلمين، وإذا بالجزئية تقصي مجالات واسعة عن أن تكون موضوعا للبحث والتأسيس المعرفي والعملي عند آخرين، ومن ثَمَّ انخرمت العناصر الموحدة للفكر والسلوك". ومن هنا فأي إصلاح أو تجديد في هذه الأمة ينبغي أن يتم في الوعي الثقافي الذي ينظم البناء العقدي الموجه للفكر والسلوك كما ينظم حركة الأمة الاجتماعية وحركة تحضرها ونضجها المستمر على طريق ما يسميه الباحث بالقدرة على التطهير الاجتماعي لمبادئ العقيدة.

وفي الفصل الثاني يعرج المؤلف على مسألة مهمة وهي البحث في حيوية المغرب التاريخية في الالتزام بوحدة الثقافة الإسلامية على مستوى المرجعية والواقعية والشمولية والقدرة النقدية باعتبارها مقياس الكشف عن مدى وعمق التزامه أو تخليه عن رسالته الانخراطية والإثرائية لمسيرة الأمة بالمنجزات والأفكار والرجال والمؤسسات. في هذا السياق يحلل المؤلف العوامل الكامنة وراء قدرة الغرب الإسلامي على الالتزام بوحدة الثقافة الإسلامية فيرجعها إلى ما يلي:

أولا: خفة الإرث الثقافي القديم بحيث لم تكن هذه المنطقة مركزا حيويا واستقطابيا في نشوء الديانات والمذاهب القديمة. فلم تكن المنطقة عريقة وأصيلة في هذا الشأن ولكن كانت تابعة بحكم وفود هذه الديانات والمذاهب من خارج مجالها الثقافي التديني، وبذلك لم تؤثر فيها كثيرا. ولهذا لما جاء الإسلام واستحكم في البنية النفسية والثقافية والاجتماعية لأهل الغرب الإسلامي وجد مهدا حيويا للنمو والانتشار والاستحكام في حياتهم.

وثانيا: كان للموقع الطرفي الجغرافي للغرب الإسلامي دور بارز في التزامه بالوحدة الثقافية للأمة الإسلامية وثقافتها العامة. فبحكم هذا الموقع الذي يجعل الغرب الإسلامي دوما في مواجهة خطر الاستقطاع والاستعمار الأجنبي دفع بهذا القطاع الإسلامي إلى التحصن بالأمة والثقافة الكبرى لكي يذود عن نفسه مخاطر الاستلهاء والاستغفال الذي يهدف إلى تفتيت الشخصية المغاربية وتذويبها في أطر وأنساق ثقافات أخرى. يقول المؤلف: "فكلما أمعن ذلك الاستعمار في الغزو الثقافي ازداد إمعان المغرب في الاعتصام بوحدة الثقافة الإسلامية"(ص:٢٤).

وثالثا: يرى المؤلف أن نزعة الارتباط المركزي في الثقافة المغاربية كانت من العوامل الأساسية لحماية وتقوية التزامه بوحدة الثقافة الإسلامية. وهذا النزوع المركزي يتجسد روحيا في اتصاله بمراكز القداسة الروحية في الثقافة الإسلامية وهي مكة والمدينة، وفي المجال الثقافي باتصاله بمراكز العلم في المشرق وسياسيا بارتباطه بمركز الخلافة.

وبعد أن سجل الباحث ملاحظاته عن عوامل الالتزام، حاول تركيز الحديث في العنصر الثاني عن مظاهر هذا الالتزام الثقافي. فأرجعها إلى القدرة على الالتزام بوحدة العقيدة والمرجعية في الفكر والسلوك. حيث أثبت أن الوحي قد شكل حجر الزاوية في صياغة الشخصية المغربية وثقافتها، على الرغم من وجود بعض المحاولات التي لم تنجح في إزاحة هذا المصدر الحيوي عن عمق الوعي الثقافي المغربي لالتزامه بعناصر ودوافع النضج والتعمق في اطاره الاجتماعي والثقافي. وقد ذكر المؤلف مظاهر هذا الالتزام على المستوى العقدي والفقهي والسياسي والاجتماعي العام. كما ركز على أهمية الشمولية في الثقافة المغاربية باعتبارها مظهرا أخر من مظاهر الالتزام. حيث أشار إلى إسهامات هذا العمق الإسلامي في حركة العلم والمعرفة والتدين والدعوة والسياسة. ثم عرج على مظهر أخر للالتزام الثقافي وهو واقعية الفكر والسلوك في التجربة الحضارية والعلمية المغاربية. فركز على الواقعية في الفقه المالكي والواقعية في طرائق التصوف السني الصحيح والواقعية في النظر إلى الواقع الكوني والاجتماعي. ومن مظاهر الالتزام الثقافي كذلك نقدية الفكر المتمثلة في قدرة العقل المغربي الإسلامي على التفاعل مع أفكار الآخرين وتقويمها ونقدها والاستفادة منها. فقد ابتعدت التجربة المغاربية في المجال الفقهي والفكري والاجتماعي عن التعصب والتشدد والتشرذم والدوران حول الذات ولكنها

تفاعلت ونضجت في إطار الحوار والتفكير الحر الملتزم بمصادر الثقافة الإسلامية.

وبعد أن أفاض المؤلف في عرض الأمثلة التي تبرز مظاهر الإلتزام المغربي بالثقافة الإسلامية في كثير من مجالات الوعي والتحضر، انتقل إلى الحديث عن ثمرات هذا الالتزام التي كانت وراء تماسك هذا الجزء الإسلامي ونضجه وتفاعله مع شروط التحضر والاستقرار والإسهام في مسيرة الأمة. فمن ثمرات هذا الالتزام الوحدة المذهبية وشدة الانتماء إلى الأمة والريادة الحضارية والإسهام في التبليغ الحضاري للإسلام ورسالته العالمية العلمية. ويلخص لنا المؤلف رؤيته في هذا السياق بقوله: "إن هذا الإسهام المغربي في التحضر صناعة وتبليغا إنما هو إسهام تأتى بدافع انخراطه في وحدة الثقافة الإسلامية، وتميزه في ذلك الانخراط أدى إلى تميزه في ذلك الإسهام الحضاري"(ص:٥٢).

في الفصل الثالث يثير الكاتب مسألة أساسية تتمثل في المصير المغربي في نطاق المستقبل الثقافي. فبعد أن وضع المؤلف الإطار النظري لموضوعه، ثم صاغ الإطار التاريخي والتجريبي الذي تجسدت فيه رسالة المغرب ووحدته الثقافية يحاول في هذا الفصل أن يخط تصورا باتجاه المستقبل وباتجاه الوجهة والصيرورة المنطقية لهذا الرافد الإسلامي العريق. فيبدأ الكاتب حديثه بالإشارة إلى بعض عوامل التفريق والتفتيت التي نبتت ونمت وترعرعت في أحضان هذه الثقافة في أيام ضعفها ونكوصها وتراجعها الخطير. ويميز الكاتب بين وجهتين في تحقيق مستقبلية الرسالة المغاربية. فإما أن ينمو الغرب الإسلامي ويتطور في ظل هيمنة وسيطرة المفاهيم والاتجاهات العلمانية. وإما أن يحقق تكامله وصيرورته في ظل توجيه وحماية تيار الأصالة الثقافية.

ففي إطار سيادة العلمنة الثقافية يرى الكاتب أن المؤشرات توحي بإمكانية حدوث انحراف ثقافي خطير قد يؤدي إلى تضييع محتوى ومضمون الالتزام المغاربي بالوحدة الثقافية الإسلامية، وبالتالي استبعاد الدين من الحياة والتأثير في مناهج الفكر وأساليب الحياة وطرائق السلوك والالتزام وازدواجية المرجعية الدينية والدنيوية والمحدودية في مصادر تلقي الوعي في المجال الاجتماعي، لأنها تقصي الوحي من التجربة الحضارية أو على الأقل لا تدخله في سياق مصادر التنظير العقدي والفكري والاجتماعي. وفي هذا السياق يقدم لنا الكاتب صورة عن واقع العلمنة الثقافية في المغرب وآثارها المدمرة على كل المستويات الفكرية والعقدية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية

والتعليمية. فقد غيبت الأهداف والمقاصد العليا للشريعة والأصالة الثقافية في معظم هذه القطاعات والمجالات مما أدى إلى بروز علمنة ثقافية مشينة وثقافة علمانية تكرس الاستغراب بديلا عن التأصيل والارتباط. هذا بالإضافة إلى العوامل التي تحاول استقطاع المغرب الإسلامي عن جسد الأمة الإسلامية، والآثار النفسية الخطيرة التي تبعد الشقة بين أبناء الأمة وتشكل بذور التفرقة والتشرذم وحتى الصراع بينهم.

ويرى الكاتب أن هنالك ضرورة شرعية وواقعية تستدعي إعادة طرح مشروع الالتزام والانخراط المغاربي في الثقافة الإسلامية من منظور الأصالة والمرجعية الإسلامية العليا. فيرى أنه لابد من محاولات جادة ومنظمة من أجل تحقيق التأصيل الثقافي للمغرب الإسلامي. ويكون هذا التأصيل بإرجاع الثقافة والوعي إلى مصادر العقيدة الإسلامية الصحيحة ويكون على المستوى الشعبي والعلمي والحركي، حتى تسهم كل قوى الفاعلية والحيوية في تحقيق تأصيلها. فالرسالة اليوم هي رسالة شمولية جماعية يسهم فيها العالم والمتعلم والشعب والمجتمع ومؤسساته المتنوعة. يقول المؤلف: "إن هذه التيارات الثلاثة لا يفرق بينها إلا طريقة التعبير عن التأصيل الثقافي، وهي مع ذلك في طريقها إلى الاندماج الفعلي لتصبح تيارا واحدا يتبنى التثقيف الإسلامي منهجا للحياة"(ص:٧٥).

وينتقل المؤلف إلى تحليل إمكانية التأصيل الثقافي والمصير المغربي، فيثير مسألة مهمة وهي بحث العوامل الحاسمة في عملية التأصيل وهي قوة الذات التي تتأتى بالإيمان الصادق المخلص، والقدرة على استيعاب الكسب الإنساني والانفتاح على التجربة الإسلامية الكبرى والإنسانية الشاملة حتى يتم التفاعل الحيوي الناضج للوعي والخبرات. بالإضافة إلى ما أسماه الكاتب بالتعبئة الشعبية لإنجاز مشروع التأصيل الثقافي. وفي نهاية البحث يخلص المؤلف إلى نتيجة مهمة هي: "أن التأصيل الثقافي أصبح قدرا للمغرب العربي الإسلامي منذ استقر في ربوعه الدين القيم، وبه اندرج في الوحدة الحضارية الإسلامية ماضيا، وبه يحفظ وجوده ضمن وحدة الأمة مستقبلا، كما كان المغرب في نطاق وحدة الثقافة الإسلامية مسهما في العطاء الحضاري بثراء، فإنه في هذا النطاق يكون قادرا في المستقبل على معاودة هذا العطاء. أما تحويل مجرى الثقافة فيه إلى ما هو غريب على روحه من العلمنة فلا يؤول إلا إلى إهدار الجهود والطاقات، ثم يكون بوار المصير. وشهادة الواقع قائمة على الحالين في القديم وفي الحديث"(ص: ٨٧).

مناقشة وتحليل

بادئ ذي بدء ينبغي الإشارة إلى أهمية هذا الجهد التأصيلي المتميز الذي أسهم به الأستاذ الفاضل عبد المجيد النجار. فقد استطاع وبجدارة أن يحقق المرامي الأساسية لهذه المحاولة. فعلى صعيد اختيار الموضوع والإشكالية والتعبير الدقيق عنها فقد وفق الباحث بصورة تبرز إحساسه كمثقف برسالته في الرد على الهجمة الثقافية الشرسة التي تبغي تفكيك البنية الثقافية الإسلامية للغرب الإسلامي، لينفلت بوعيه وفكره وثقافته عن النسق الإسلامي العام الذي يعطيه قوة الالتزام والإثراء والإسهام في مسيرة الأمة والإنسانية. وعلى صعيد التنظير الثقافي يبدو الكاتب متمكنا من الإطار العام والمداخل الأساسية للتحليل الثقافي للظاهرة المغاربية، وذلك بحكم تخصصه وتكوينه العلمي الشرعي والتاريخي الثقافي العام. وأما على الصعيد المنهجي فنجد كذلك الباحث متحكما في موضوعه وفي عناصره وتفاصيله الأساسية. وعلى صعيد ثراء وغناء المادة التي قدمها الكاتب فينبغي الإشارة إلى أنه على الرغم من صغر حجم هذا الكتاب إلا أن مادته غنية وثرية.

ومن بين النقاط التي تثير إشكالات واستفسارات في محاولة الأستاذ النجار مسألة تركيزه الواضح على البعد الثقافي. في الحقيقة لا أحد ينكر أهمية التحول الثقافي في تحقيق التحولات الإنسانية الكبرى في الوعي والسلوك. إلا أن طبيعة المرحلة التي نعيشها وطبيعة التحديات التي نواجهها وخصائص العصر التكنولوجية والاتصالية والإلكترونية والتقنية والثقافية والسياسية والاقتصادية تجعل تركيزنا على جانب واحد من جوانب الظاهرة موضوع الدراسة يؤدي إلى نوع من التخلف عن الوقائع المتسارعة في حياتنا. فالعصر الذي نعيشه عصر يعطي الاهتمام للمناهج التكاملية وللرؤى الشمولية المتعددة الجوانب والتي تنظر إلى المشكلات في سعتها وعمقها وشمولها بدلا من التركيز على جانب من جوانبها وبحثه منعزلا عن غيره من الجوانب التي تؤثر بصورة فاعلة فيه. فالمنهج الشمولي التكاملي المتعدد الأبعاد The multi-dimensional approach or the factoral method هو الذي يسمح لنا بتحقيق معالجة شمولية وعلمية. فالتركيز على البعد الثقافي في التحليل دون وصله بالبعد المنهجي والفكري والتربوي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي الداخلي والخارجي يؤدي

بإستمرار إلى تجزئ المشكلات والحلول بصورة تخل بالمطلوب إن لم تؤدّ إلى نتائج ذات مآلات عكسية. فكان ينبغي في محاولات الأستاذ أن يحقق هذه التكاملية في الرؤية والمنهجية. حيث كان جديرا به أن يرسم لنا الصورة الكلية التي نرى من خلالها الأبعاد الفاعلة في عملية البحث عن مستقبل الغرب الإسلامي ، وهكذا يستطيع فعلا أن يثري الموضوع كما أثراه في جانبه الثقافي.

ويمكننا أن ندخل تحت مفهوم البعد الثقافي العناصر الأخرى فنحقق بذلك الشمولية والتكاملية في التحليل. فمثلا نستطيع أن ندرس موقع الإنسان وموقع الأسرة وموقع الدولة وموقع المجتمع وموقع المؤسسات التربوية والتعليمية وموقع المؤسسة الإعلامية والتكنولوجية والتقنية والصناعية في التنظير الثقافي لمستقبل الغرب الإسلامي. فالمسألة اليوم لم تعد متصلة كثيرا بالمراكز الثقافية للوعي بمقدار ما تتعلق مباشرة بالرجل والمرأة والأسرة والدولة والمجتمع. ومن هنا ينبغي لنا أن نشكل منهجا ثقافيا ينظم كل هذه العناصر الفاعلة في وحدة تحليل منهجي علمي يعطي لكل عنصر موقعه ووظيفته في عملية التحليل الثقافي والحضاري والاجتماعي لحركية الغرب الإسلامي الملتزمة بوحدة المرجعية والثقافة الإسلامية.

الملاحظة الثانية التي ينبغي تعليمها في تحليلنا لمستقبل الغرب الإسلامي هي محاولة تجنب النزعة البدائلية أو الإقصائية في تعاملنا مع القوى الأخرى الفاعلة في الساحة الثقافية الإسلامية. فعندما نقول إن هناك مشروعين متناقضين ومضادين في أطروحتهما ومشاريعهما وتصوراتها لمستقبل الغرب الإسلامي. فهناك مشروع العلمنة الثقافية للغرب الإسلامي ومشروع التأصيل الإسلامي لمسيرة الغرب الإسلامي. في الحقيقة لا أحد من الإسلاميين المخلصين يرضى بعلمنة أي جزء من أجزاء الأمة. ولكن لا ينبغي أن نغفل معطيات الواقع المعيش التي تكرس الظاهرة العلمانية في الواقع الإسلامي وكأنها القانون الذي يحكم صيرورة الأمة منذ مدة طويلة. فالقضية إذن بحاجة إلى رؤية أكثر تفاعلية وحوارية مع كل الأطراف الذين يشكلون جزءا من هذه الأمة سواء أكانوا من المستغربين أم العلمانيين. فالأمر الذي يجب ألاّ يغيب عن دعاة المشروع الإسلامي هو أن معظم هؤلاء المستغربين والمعلمانيين هم ضحايا الجهل والاستعمار والاستبداد والنظم التربوية الفاسدة. ولهذا ينبغي أن تكون الرؤية الإسلامية رؤية

بلاغية إنقاذية تحاول توفير الوعي لهؤلاء حتى يكتشفوا حقيقة أمتهم وثقافتهم فلربما يخرج الله من أصلابهم من يذود عن وحدة الثقافة الإسلامية ومرجعيتها.

ينبغي ألاّ يفهم من كلامنا هذا محاولة التبرير أو الاعتذار أو التساهل مع من يريد تحطيم وحدة الثقافة الإسلامية ولكن المقصود هو أن نتذكر دائما أن رسالة الأمة الوسط هي رسالة البناء والسلام والتعارف والحوار والأمن والحرية والعدالة الاجتماعية. وبهذا نكون قادرين على خط مستقبل الغرب الإسلامي والأمة الإسلامية بطريقة تؤلف وتوحد ولا تشتت وتفرق. فلا ينبغي إذاً أن نكون إقصائيين أو استئصاليين في طرائق وعينا وسلوكنا كما يريدنا بعض أعدائنا أن نظهر ونسلك.

فالانفتاح على الآخرين ينبغي أولا أن يبدأ بالداخل الإسلامي حتى يمكن إنقاذ واستقطاب قوى وطاقات بشرية وفكرية يلفها الجهل ويوردها مواطن الهلكة والفناء. فكم من طاقات بشرية ضائعة تخسرها الأمة عندما تصنفها في أحزاب وجهات. وكم من قدرات تتبدد عندما تأكلها نيران الرؤية التعصبية. إن مستقبل الغرب الإسلامي مرهون إلى حد كبير بقدرته على الانفتاح والحوار والاستقطاب لأبنائه الذين ضيعتهم قوى الاستغراب وقوى الجهل والأمية الثقافية والتاريخية. فالحوار والانفتاح ينبغي أن يبدأ من الداخل، في الذات ثم مع الذات ومع الآخرين ثم مع الأعداء إن جنحوا للسلم. فالمسألة اليوم لم تعد مسألة تصارع وعداوة بقدر ما هي مسألة توعية وتعليم وتثقيف وتربية وتوجيه للعقول والأفكار والأشياء لتحقيق مشروع المستقبل الموحد للأمة.

وفي ختام هذه القراءة المتواضعة جدا تؤكد على أن مستقبل الغرب الإسلامي بشكل خاص ومستقبل الأمة الإسلامية بشكل عام بل مستقبل الإنسانية بشكل أعم مرهون بما نحققه من وعي وترشيد للإنسان والأسرة والدولة والمجتمع من جهة وبما نحققه من فاعلية منهجية في توجيه الأشخاص والأشياء والأفكار التي نملكها في صالح مشروعنا الحضاري الذي يبغي تقديم الخير للناس ومحاولة ربطهم بمشروع النضج الحضاري الإسلامي الذي يفتح أفاقا رحبة للناس لكي يحققوا إنسانيتهم وحضارتهم في صورة ثقافة إنسانية متحضرة.